معرفة من أين أتَتْ

كان طبيب الرئيس التركي السابق توركت أوزال رحمه الله يتحدث قائلاً:

ـ أُجْرِيَ للرئيس التركي عمليةُ استئصال ورمٍ خبيثٍ في إحدى غدده، ومن شدة الألم لم يكنْ يستطيعُ النوم، ومرَّتْ عليه ليالٍ عديدةٌ لم يغمضْ له جفنٌ، وكنا نبقى عندَه حتى الصَّباح.

وذات يوم قلت له:

ـ سيدي الرئيس؛ أعلم أنك تتألَّم كثيراً، ولكن لا يبدو عليك ذلك، حتى أنك لم تتأوَّه.

فأجابني الرئيس:

ـ اسمع؛ سأحكي لك حكاية:

«ذات يومٍ ذهب أحدُ الطلاب إلى شيخٍ صالحٍ ليتعلَّمَ

منه، ولكنَّ الطالبَ كان فضولياً وكثيرَ الأسئلة، وذات مرة سأل أستاذَهُ:

ـ ما هي الشريعة؟ وما هي الطريقة؟ وما هي الحقيقة؟

لم يجبْه الشيخ في ذلك الوقت عن هذه الأسئلة. ولكنهما لما ذهبا إلى الجامع للصلاة، توجَّه إلى مكانِ الوضوء، وكان هناك أناسٌ عند الموضَّأ، فقال الشيخ لطالبه:

ـ هل رأيتَ ذلك الشخص ـ وأشار إلى رجلٍ يتوضَّأ ـ؟ اذهبْ واضربْه على رقبته!

ذهب الطالب ففعلَ كما أمره شيخُهُ، فالْتفَتَ إليه الرجل غاضباً وصفَعَهُ، عاد الطالب إلى شيخه وقال له:

ـ ما هذا؟

قال له:

ـ هذه هي الشريعة!

ثم أشار الشيخ إلى رجلٍ آخر وقال للطالب:

ـ اذهبْ واضربْ ذلك الرجل أيضاً.

فاستدار الرجل، ونظر إلى الطالب غاضباً، ثم عاد وأكمل وضوءَهُ.

سأل الطالبُ شيخَهُ:

ـ ما هذا؟

قال له الشيخ:

ـ هذه هي الطريقة!

وتابع قائلاً:

ـ إن الرجل يعلم أنَّه ستأتيه صفعة، ولكن ممن ستأتيه لا يعلم، لذلك استدار إليك ونظر غاضباً.

ثم عاد الشيخ وأشار إلى رجلٍ ثالث وقال له:

ـ اذهبْ واضربْه.

ففعل الطالب مثلما فعل في المرتين السابقتين، ولم يستدر الرجل ولم تبدُ عليه علاماتُ الغضب أو ردَّةُ الفعل، وتابع وضوءه كأنَّ شيئاً لم يحدثْ!

دهش الطالب فأجابه الشيخ:

ـ هذه هي الحقيقة! هذا الرجل يعرف أنَّه سوف تأتيه صفعة، ويعلم تماماً من أين أتتْ».

تابع السيد الرئيس قائلاً:

ـ بالنسبة لي أعرف من أين يأتي الألم، لذلك لا أتأوَّهُ ولا أشتكي.

إنَّ وراءَ كلِّ حادثةٍ ظاهرةٍ سببٌ غير واضح، ووراءَ كلِّ شيءٍ ماديٍّ له قسم، ووراء كلِّ ملكٍ يوجد ملكٌ أكبرُ منه وأوسع.

أحياناً تبدو الحوادث على غيرِ حقيقتِهَا، تبدو وكأنَّ هنالك ظلماً ما على الإنسان، ولكنْ في الحقيقة هناك قدْرٌ من العدالة السماوية فيها.

مثلاً.. إذا حكم قاضٍ على شخصٍ بالسجن بجُرْمِ سرقة، ولكنَّ هذا الشخص لم يسرقْ؛ هنا في هذا الموقف القاضي لم يظلمْه، ولكنَّ قدَرَهُ أنْ يلقى هذا الجزاء.

هذا بالطبع ما يبدو من هذه الحادثة؛ إنَّها قَدَرُهُ ولكنْ ثمةَ أشياء خافية على الإنسان، أحياناً يظنُّ أنَّه يفهم ما يحصل، ولكنَّ الحقيقة أنَّه فهم وعرف شيئاً مقابلَ أشياء كثيرة يجهلها ولا يعيها.

وبالطبع لا نستطيع أنْ نقول لكلِّ شيءٍ يحدث معنا: «هكذا حصل» دون أنْ نعرف المغزى والحكمة من حدوثها.

فمثلاً ذلك الرجل البريء الذي حكمَ عليه القاضي بالسجن ظلماً، هو في الحقيقة منطلقٌ أو أساسٌ لمكافأةٍ من عندِ الله تعالى.